أثر الرحلات العلمية في التواصل العلمي بين المغرب الأوسط والحجاز خلال القرنين 7ـ 9هـ / 13ـ 15م

The impact of scientific trips on scientific communication between the Middle Maghreb and Hijaz during the 7-9 AH / 13-15 AD centuries

أحلام يوسف *

جامعة 8 ماي 45 قالمة (الجزائر)، youcef.ahlem@univ-guelma.dz

تاريخ الإرسال: 2023 /02/18 تاريخ القبول: 2023 /03/29 تاريخ النشر: 2023/06/10

الملخص:

لعبت الرحلة العلمية دورا كبيرا في تمتين العلاقات الثقافية بين المشرق والمغرب الإسلاميين خلال الفترة الوسيطة، كما أنها ساهمت في تنشيط الحركة الفكرية والثقافية من خلال مختلف الكتب والمصنفات التي كانوا يتداولونها فيما بينهم، ما ساهم في توطيد العلاقات الثقافية والفكرية، فقد كانت الرحلة في طلب العلم ورحلة الحج من الفرص الثمينة التي توفرت للعلماء وطلاب العلم وغيرهم من الجانبين وعلى هذا الأساس جاءت مداخلتي الموسومة ب أثر الرحلات العلمية في التواصل العلمي بين المغرب الأوسط والحجاز خلال القرنين 7ـ 9هـ / 13ـ 15م .

الكلمات المفتاحية: الرحلة العلمية؛ التواصل العلمي؛ المغرب الأوسط؛ الحجاز .

* المؤلف المرسل

Abstract:

The scientific journey played a major role in strengthening the cultural relations between the Islamic East and the Maghreb during the medieval period, and it also contributed to the revitalization of the intellectual and cultural movement through the various books and works that they used to circulate among themselves, which contributed to the consolidation of cultural and intellectual relations. The journey was in the pursuit of knowledge. The pilgrimage trip is students of knowledge, and others from both sides. On this basis, my intervention was tagged with the impact of scientific trips on scientific communication between the Middle Maghreb and Hijaz during the 7-9 AH / 13-15 AD centuries

Keywords: Scientific trip; Scientific communication; Middle Morocc; Hijaz.

مقدمة:

تعد الرحلة من أهم المصادر والمراجع للعديد من العلماء في كثير من العلوم كعلم التاريخ والجغرافيا وغيره، فالرحلة تعتمد على الوصف الدقيق وسرد كل التفاصيل في مختلف جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية للشعوب والأمم التي زارها الرحالة، وقد كان الرحالة ينتقلون من بلاد إلى أخرى قصد تلبية دوافعهم واحتياجاتهم ومن أهم هذه الدوافع الدافع العلمي، فالرحلة وسيلة لتحقيق التواصل العلمي بين الشعوب والتأثير والتأثر بينهم وتبادل مختلف العلوم والمعارف، ومن بين أهم الآثار للرحلة هي ما قدمته في الجانب العلمي.

إن الخوض في هذا المجال جعلنا نفكر في ضرورة إعطاء المزيد من الأهمية لدراسة ومعرفة دور الرحلة العلمية في دفع واثراء التواصل العلمي بين البلدين وذلك من خلال تناول أهم آليات التواصل ونشاطها الفكري والعلمي، وقد جاءت هذه المداخلة لمعالجة هذه الظاهرة من ناحية أثر الرحلة العلمية في الجانب العلمي تحت عنوان: **أثر الرحلات العلمية في التواصل العلمي بين المغرب الأوسط والحجاز خلال القرنين 7ـ 9هـ / 13ـ 15م**

إشكالية البحث:

تناول هذا البحث الإشكاليات الآتية:

ـ ما مدى أهمية الرحلة في طلب العلم؟

ـ ما هي انعكسات وأبعاد الرحلة العلمية في التواصل العلمي بين المغرب الأوسط والحجاز؟

ـ ماهي أثر الرحلة في العلاقات العلمية بين البلدين؟

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى تبيان ومعالجة دور الرحلة العلمية في دفع واثراء التواصل العلمي بين المغرب الأوسط والحجاز ، وذلك من خلال تناول أهم آليات التواصل ونشاطها الفكري والعلمي.

المنهج المتبع:

لقد اتبعت في هذا البحث المنهج التاريخي لدراسة التواصل العلمي بين المغرب الأوسط والحجاز، وكذا لدراسة تاريخ والنشاط الفكري والعلمي لمختلف العلماء، والمنهج الاستقرائي لاستقراء النصوص وبيان مكانة العلماء في مختلف العلوم وللكشف عن المؤلفات العلمية في مختلف المصادر.

1. مفهوم الرحلة

1.1 لغة

تكاد المعاجم اللغوية أن تتفق حول معنى الرحلة في أنها تعني الارتحال والانتقال من مكان لآخر، تتخذ الرحلة وسيلة لها وقد جاء في معجم لسان العرب عن الرحلة: " الرحلة في اللغة الترحيل والارتحال بمعنى الأشخاص والازعاج، يقال رحل الرجل إذا سار"[1] .

فالرحلة هنا بمعنى السير والضرب في الأرض، وجاءت الرحلة بمعنى الارتحال أي الانتقال من مكان لآخر.

كما جاءت الرحلة أيضا بمعنى الجهة التي يقصدها الإنسان" الرحلة الارتحال، والرحلة بالضم الوجه الذي تأخذ فيه وتريده، تقول أنتم رحلتي أي الذين أرتحل إليهم"، كما تطلق الرحلة أيضا على السفرة الواحدة " الرحلة السفرة الواحدة"[2].

وجاء في القاموس المحيط: " الرحلة بالضم والكسر، بالكسر الارتحال وبالضم: الوجه الذي تقصده والسفرة الواحدة، والرحيل كأمير فالرحلة هنا بمعنى السير وارتحال وانتقال شخص أو قوم من مكان إلى آخر، وجاء في القاموس المحيط "ارتحل البعير: سار ومضى ، والقوم عن المكان: انتقلوا كترحلوا والاسم: الرحلة والرحلة بالضم والكسر: الارتحال: وبالضم: الوجه الذي تقصده والسفرة الواحدة[3] .

وبهذا نستنتج مما سبق أن الرحلة جاءت بمعنى السير والانتقال والوجهة أو المقصد الذي يراد السفر إليه، وبمعنى دنو المكان المراد الوصول إليه، أو اقتراب وقت الرحيل، ولهذه المعاني كلها لفظ رحلة يطلق على من انتقل من مكان لآخر ومنه أخذ لفظ رحال: وهو الشخص المتنقل من مكان لآخر.

2.1 اصطلاحا

تعددت وتنوعت المفاهيم الاصطلاحية للرحلة غير أنها لا تبتعد عن المفهوم اللغوي، فهما يشتركان في فعل الارتحال، وهي الحركة، ولها فوائد عظيمة للإنسان، فقد أشار المؤرخ ابن خلدون[4] إلى أهمية وفوائد الرحلة العلمية ودورها في بناء الشخصية الثقافية للفرد بقوله: " إن الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعليم، ذلك أن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما ينحلون به من المذاهب والفضائل تارة علما وتعليما وإلقاء، وتارة محاكاة وتلقينا بالمباشرة، إلا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكاما وأقوى رسوخا، فعلى قدر كثرة الشيوخ

يكون حصول الملكات ورسوخها، كما ألح على أن الرحلة لابد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال".

2. أهمية الرحلة في طلب العلم

تعتبر الرحلة من مميزات جهود المسلمين في طلب العلم، حيث كان العلماء يحثون الطلبة عليها، فقد كان الطالب يترك بلدته بعد أن يحصل ما لدى علمائها، فيتوجه إلى مراكز العلم المنتشرة في أنحاء العالم الإسلامي، ويكابد مشاق السفر وأخطاره التي يعجز المرء عن وصفها، ولكن هذه المشاق وتلك الأخطار لم تقف حائلا دون تلك الرحلات التي ملأت أخبارها بطون الكتب[5] .

لقد حمل المسلمين حب العلم إلى آفاق بعيدة، فقلما تجد من بين العلماء من لم يرحل في طلبه، وربما قطع الواحد منهم آلاف الأميال لمجرد قراءة كتاب واحد، بل ولسماع حديث واحد، كما كان البعض منهم ينتهز موسم الحج فيعرج على الشيوخ أثناء سفره للسماع منهم، وهذه ما جعل أكثر العلماء متنقلين مما أتاح لهم فرصة التلقي عن العلماء، وهو ما عرف بالرحلة في طلب العلم[6] .

فالرحلة مثلت مظهرا من مظاهر الحياة الحضارية في مختلف العصور الإسلامية، وكان المشرق أكثر المناطق جذبا للرحالة والعلماء من مختلف المناطق بحكم أنه كان يحتضن الأماكن المقدسة وبالخصوص منطقة الحجاز، إذ كانت رحلة الحج أول العوامل التي دفعت بالمسلمين من كل فج عميق إلى الانتقال لزيارة الحرمين الشريفين، وأداء فريضة الحج الذي كان ولا يزال مقصدا يتشوق إليه المسلمون، وليس مقتصرا على علمائه وفقهائه فقط، بل كان مركز استقطاب لكل المسلمين[7].

إن موضوع الرحلة لم يكن جديدا على المغاربة ، كما أنها لم تكن طارئة على العرب بشكل عام، فلقد مارسوا الترحال في شبه الجزيرة العربية، والبلدان المجاورة لها قبل الإسلام، لكن الإسلام وسع بدوره من آفاق الرحلة، وزاد من دوافعها حتى بلغت ذروتها، فأصبحت في نظر الكثيرين

مسألة لابد منها في طلب العلم والاستفادة من العلماء بزيارة الأمصار الإسلامية التي عرفت بتبحرها في العلوم المختلفة[8] .

وقد ساعدت مجموعة من الظروف لشيوع ظاهرة الرحلة العلمية للمغاربة خلال العصر الوسيط منها: الرغبة الجامحة في تحصيل العلوم من روافد متنوعة، ووحدة العالم الإسلامي ومرونة التواصل بين مختلف أقاليمه، إلى جانب الاستعداد المادي والنفسي لذا طلبة العلم ورحابة صدور الشيوخ في تلقين العلوم للمغتربين في سبيله ، وتيسير ظروف الإعالة والإيواء حيث أوقفت لهم العديد من دور العلم من مدارس وربط وزوايا ومساجد وهذا ما أشار إليه الرحالة ابن جبير[9] في قوله:" فمن شاء الفلاح من نشأة مغربنا فليرحل إلى هذه البلاد، ويتغرب في طلب العلم فيجد الأمور المعينات كثيرة، فأولها فراغ البال من أمور المعيشة وهو أكبر الأعوان وأهمها، بالإضافة إلى سهولة الالتحاق بمراكز التعليم وحرية الأخذ عمن يريد من الشيوخ والانتقال إلى غيرهم متى شاء[10].

وبالنسبة لبلاد الحجاز فقد اكتسبت مكانتها العلمية منذ بزوغ فجر الإسلام، بالإضافة إلى كونها مركز اشعاع فكري وحضاري، وقبلة لقاصدي بيت الله الحرام ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم هذا من جهة، ومن جهة أخرى كانت مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم هي المورد الثاني لكل مرتحل أو مهاجر يقصد أرض الحجاز لما لها من قدسية ومكانة في نفوس المسلمين، فالمسلمون عموما والمغاربة خصوصا سعوا جاهدين لنيل كل هذه الفضائل والنفحات الإيمانية، كما أنهم سعوا للنهل من معين علمائها الذين آثروا جوار الحرمين أمثال الطبري والسخاوي وابن تيمية والزمخشري والفاسي وغيرهم[11].

3. تأثير الرحلة العلمية في التواصل العلمي بين المغرب الأوسط والحجاز

كان للرحلة العلمية أبعاد وانعكسات عدة على بلاد المغرب الأوسط والمشرق معا خاصة في المجال العلمي والفكري، فقد كانت أحد روافد الحركة العلمية حيث ساهمت في تجسيد مفهوم التواصل والتلاقح العلمي والفكري من خلال حلقات العلم التي صارت مناسبة للطلبة والعلماء للاستزادة في طلب العلم، وهذا ما سنحاول التطرق إليه في هذا العنصر من خلال التطرق إلى أثر الرحلة وتأثيرها في التواصل العلمي بين البلدين من خلال التطرق إلى أهم مظاهر هذا النشاط :

1.3 لقاء العلماء: كان من مظاهر التواصل العلمي بين البلدين، وكدافع من دوافع الرحلة العلمية هو لقاء العلماء، وخلال هذه الفترة عرف المغرب الأوسط والحجاز حركة علمية نشطة، كان من مظاهرها كثرة العلماء في كل فرع من فروع العلم والثقافة الإسلامية، فبرز في تلك الفترة عدد من العلماء اشتهروا على مر التاريخ بما لهم من ذيوع الذكر وتداول المصنف وكان لهم أثر في استقطاب عدد من طلاب العلم والعلماء مما كان له أثر كبير في ازدهار وتنمية التواصل العلمي بين البلدين.

2.3 تبادل الإجازات العلمية بين البلدين

تعتبر الإجازات العلمية من أهم العوامل التي ساعدت على تطور ونمو الحركة العلمية في بلدان المغرب الأوسط والحجاز، فالإجازة في اللغة هي مصدر أجاز، بمعنى أعطاه الإذن وأجاز له: أي أذن له، وهي مشتقة من التجوز وهو التعدي[12] .

أما اصطلاحا، فهي إذن الشيخ في الرواية عنه إما بلفظه أو بخطه، بما يفيد الاخبار الإجمالي عرفا، كذلك طالب العلم يستجيز العالم علمه فيجيزه فيقال للطالب مستجيز وللعالم مجيز، وللإجازة أربعة أركان: المجيز وهو الشيخ، والمجاز له وهو الراوي عنه، والمجاز به وهو الكتاب أو الجزء ونحوهما، ولفظ الإجازة وهي العبارة الدالة على الإذن[13] :

والاجازة العلمية هي بمثابة الشهادة التي يسلمها الأستاذ لطلابه، وهي تشخيص من طرف الشيخ وتفويض منه للطالب بممارسة التدريس أو الفتوى، حيث كان المجيزون يتصفون بالإنصاف فلا يمنحون إجازتهم إلا لذوي الكفاءة الأهلية، فإذا كان طالب الإجازة لا يستحقها فلا يستحي المجيز من الرفض مزودا إياه بالنصح عملا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: " الدين النصيحة"[14]

وفي الأصل كانت الإجازة تعود إلى علم الحديث، وكانت تعني الإذن بالرواية، وكان رجال الحديث يضعونها في المرتبة الأولى في تحمل الحديث، وانتقل هذا التقليد من بعده إلى بقية العلوم الأخرى، وتكون الإجازة بأساليب وأنواع مختلفة لابد فيها أن تتضمن اسم الشيخ الذي منحها، والكتب التي أجاز الطالب فيها[15] .

ومن أهم أعلام المغرب الأوسط الذين أجاز لهم علماء الحجاز نذكر محمد بن عنقة شمس الدين أبو جعفر البسكري (ت 804هـ/ 1402م) الذي رحل لطلب الحديث إلى بلاد الشام ومصر والحجاز، وقرأ على جماعة من العلماء بالمدينة المنورة وأجازوه، وأحمد بن عبد القوي بن محمد بن عبد القوي بن معمر البجائي (ت 861هـ/1457م)، وأبو بكر بن الحسين المراغي، وعائشة بنت محمد بن الهادي، وزين الدين العراقي[16]، وصالح بن محمد بن موسى بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن علي بن عبد الجبار أبو محمد الحسني الزواوي(ت 839هـ/1435م) الذي حج وسكن بالمدينة المنورة، وقد تلقى بها اجازات من كبار علماء الحجاز في علمي الفقه والحديث[17]، وأبو الفضل قاسم بن سعيد العقباني (ت 854هـ/ 1441م) الذي رحل للحج سنة 830هـ/ 1426م وحضر إملاء شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد بن أحمد بن الكناني العسقلاني وأجازه[18] .

هذا فيما يخص بعض الاجازات التي أخذها علماء المغرب الأوسط في الحجاز، أما إجازات علماء المغرب الأوسط لطلبة وعلماء الحجاز نذكر منهم : برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن الشيخ أبي الحسن علي بن فرحون المدني (ت 799هـ/ 1396م) قاضي المدينة المنورة الذي أجاز له محمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق العجيسي التلمساني شمس الدين أبو عبد الله الشهير بالخطيب والجد والرئيس (ت 781هـ/ 1379م) عند مجاورته بمكة المكرمة[19]، وأيضا أبو بكر بن علي بن أبي بكر الريمي المكي الذي أجاز له سنة 805هـ/ 1402م أحمد بن عبد القوي (ت 861هـ/1456م)[20]

وما يلاحظ أن الإجازة لم تكن حكرا على الرجال فقط فقد أجازت رقية بنت عبد القوي بن محمد البجائي ت 874هـ/1469م لشمس الدين السخاوي (ت 906هـ/ 1501م) في علم الحديث[21].

3.3 الحصول على السماع

هو أن يحصل الطالب على لفظ من شيخه، سواء حدثه أو أملى عليه من كتاب يقرأه أو من محفوظاته، وعليه يوضح ذلك فيقول: " سمعت على الشيخ، أو سمعت من الشيخ، حدثني الشيخ

أو أخبرني الشيخ، أو أنبأني أو أنبأ الشيخ"، فالسماع يعد أول طرق الأداء أو التحمل تاريخيا، وهو على طريقة الرعيل الأول من الرعاة، فهو يمثل امتدادا لتحمل الحديث وأدائه على مر العصور الإسلامية، كما يعتبر أعلى صور السماع منزلة وأدعى إلى الثقة في المادة العلمية المتحصلة[22]

لقد اهتم علماء وطلبة العلم المرتحلون إلى المشرق الإسلامي من المغرب الأوسط للحصول على السماع من شيوخ وعلماء الحجاز والشام ومصر والعراق، وعلى نيل سماعات جديدة خاصة بعد حصولهم على مرتبة علمية متقدمة في بلدانهم، وذلك من باب تواصلهم العلمي، لهذا حرص علماء وطلبة العلم في المغرب الإسلامي عامة والمغرب الأوسط خاصة على السماع من الشيوخ والفقهاء في كل حاضرة يمرون بها خاصة الإسكندرية ومصر التي كانت أولى محطة لهم، ونفس الشيء بالنسبة لعلماء وشيوخ كل حاضرة حرصوا على السماع من الطلاب الوافدين عليهم، أتوا للسماع منهم بعدما وجدوهم مؤهلين لذلك[23]، ومن أهل المغرب الأوسط الذين حصلوا على السماع من علماء الحجاز نذكر: علي بن أبي نصر فاتح بن عبد الله أبو الحسن البجائي (ت 652هـ/1254م) الذي سمع من الإمام المحدث أبي محمد يونس بن يحي الهاشمي[24]، ويحي بن محمد بن موسى التجيبي التلمساني أبو زكرياء الذي سمع من أبي الحسن بن البناء ومحمد بن إبراهيم بن أحمد العبدري التلمساني المعروف بالآبلي أشهر علماء المغرب الأوسط (ت 757هـ/ 1350م) الذي حج ولقي الكثير من العلماء وأخذ عنهم[25]، ومحمد بن محمد أبو عبد الله المقري التلمساني فقيه مالكي من أكابر علماء عصره، رحل إلى المشرق فأدى فريضة الحج وأخذ عن كبار علماء مصر والحجاز ودمشق (ت 759هـ/1359م)[26] وعبد القوي بن محمد بن عبد القوي بن أحمد، أبو أحمد محمد البجائي (ت 816هـ/ 1414م) الذي أخذ بها عن موسى المراكشي وسمع بها عن سعد الدين الاسفرايني والنشاوري، وغيرهم كثير[27].

أما علماء الحجاز الذين أخذوا العلوم وسمعوا من علماء المغرب الأوسط نذكر: عبد السلام بن عبد السلام بن محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن روزبة بن محمود بن إبراهيم بن أحمد العز المدني (ت 779هـ/1378م) الذي سمع من عبد الرحمان بن يحي بن موسى بن إبراهيم بن عبد الله الزين القسنطيني المدني المالكي والشيخ إبراهيم بن رجب بن حماد التلمساني الشافعي[28]، وعبد

العزيز بن عبد السلام بن محمد بن محمود بن إبراهيم بن أحمد بن روزبة المدني الشافعي (ت 781هـ/1380م) الذي سمع من عبد الرحمن بن يحي بن موسى بن إبراهيم بن عبد الله الزين القسنطيني المدني المالكي[29]، وعبد القادر محي الدين بن عبد الرحمان بن محمد بن أبي بكر عثمان السخاوي الأخ الأكبر لشمس الدين السخاوي (ت 894هـ/1489م) الذي أخذ على أحمد بن محمد بن عبد الرحمان بن علي بن أحمد شهاب الدين البجائي[30] .

4. أثر الرحلة في العلاقات العلمية بين البلدين

1.4 العلوم النقلية

أسهم علماء المغرب الأوسط في بلاد الحجاز بحظ وافر في مجالات العلوم النقلية واللغوية وأيضا العقلية، فالبنسبة للعلوم النقلية كما يعرفها ابن خلدون هي العلوم التي تعتمد على الخبر عن الواضح الشرعي ولا مجال للعقل فيها، وأصلها الشرع من الكتاب والسنة وهي علوم القرآن القراءات والتفسير، وعلوم السنة الحديث والفقه وأصوله، وعلم الكلام والتصوف وتعبير الرؤيا، ويلحق بها علم اللغة والنحو والأدب كونها من العلوم اللسانية التي يتوقف عليها فهم القرآن والحديث[31].

علم القراءات: نبغ في هذا العلم كثير من علماء المغرب الأوسط والذين كانت لهم تآليف في هذا المجال نذكر منهم: محمد بن أبي بكر المقري الجد ت 759هـ/ 1358م والذي ألف رسالة سماها **رسالة في القراءات على الدوري،** و عبد الرحمن الثعالبي (ت 875هـ/1490م) الذي شرح منظومة ابن بري وسماها **المختار من الجوامع في محاذاة الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع،** كما ألف كتاب آخر سماه **التقاط الدرر**[32] :

التفسير: اهتم علماء المغرب الأوسط والحجاز بدراسة حفظ القرآن الكريم وتفسيره تدريسا وتأليفا، ذلك أن القرآن الكريم يحتاج في تفسيره إلى ثقافة دينية وتاريخية ولغوية قوية حتى يتمكن المفسر من تفسير كتاب الله، وهذا ما امتاز به علماء المغرب الأوسط خلال هذه الفترة ، ومن العلماء النابغين في هذه الفترة يحي بن محمد بن موسى التجيبي التلمساني ت 652هـ/ 1254م

مفسر من فقهاء مكة ، حج وجاور وسمع بمكة المكرمة ومن كتبه في هذا المجال كتاب سماه **تفسير القرآن الكريم**، وأيضا إبراهيم بن فائد الزواوي (ت 857هـ/ 1453م) حيث صنف كتاب سماه **تفسير القرآن**[33].

علم الحديث: تزاحم العلماء على جمع الأحاديث وتدوينها بأسانيدها، واجتنبوا الأحاديث الموضوعة، وقد اشتهر خلال هذه الفترة مجموعة من علماء المغرب الأوسط والحجازيين ومن أهمهم نذكر: - إبراهيم بن يخلف التنسي المطماطي (ت 670هـ/1271م) الذي صنف كتاب سماه **تقيد على الإرشاد**[34]، ومحمد بن أبي بكر المقري الجد (ت 759هـ/1358م) الذي صنف **كتاب أحاديث الأحكام**، وابن مرزوق الخطيب (ت 781 / 1379م) الذي صنف كتاب **تيسير المرام في شرح عمدة الأحكام**، وألف كذلك **تعليقا على صحيح البخاري، والأربعين في الصحاح**، وله أيضا **جزء في اسناد الأحاديث الأربعة المعلقة في الموطأ**، وغيرها من الكتب[35]، وكذلك يحي بن محمد بن عبد الرحمان بن منصور الأصبحي التلمساني (ت 809هـ/1406هـ)، وخليل بن هارون الصنهاجي (ت 826هـ/1423م)، وإبراهيم التازي (ت 866هـ/1462م)، وعبد الرحمن الثعالبي (ت 875هـ/1470م) الذي سمع الكثير من جماعة الحفاظ والفقهاء، وأصبح من كبار المصنفين في وقته[36].

ومن علماء الحديث الحجازيين المشهورين في البلدين نذكر: أبرز شخصية هو شمس الدين السخاوي (ت 906هـ/1501م) الذي كان بصيرا بالحديث منكبا على سماعه ، ومن أشهر مصنفاته في هذا العلم: **المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، والقناعة فيما يحسن الإحاطة به من أشراط الساعة والفتاوي الحديثة والالمام في ختم السيرة النبوية لابن هشام** وغيرها من المصنفات، وكذلك تقي الدين بن فهد(ت 871هـ/1466م)، والنجم ابن فهد (ت 885هـ/1480م) الذي ألف كتابين سماهما العشاريات والمسلسلات[37].

علم الفقه: صنف العلماء في هذا العلم تصانيف وفيرة مقارنة بالعلوم الدينية الأخرى، باعتباره من العلوم الهامة في ارتباط الانسان بمجتمعه ودينه، ومن آثار علماء المغرب الأوسط في علم الفقه مصنفات إبراهيم بن يخلف التنسي المطماطي (ت 670هـ/ 1272م)، أحمد بن إدريس البجائي

أبو العباس (ت بعد 720هـ/ 1320م)، وأبو زيد عبد الرحمن بن الإمام (ت 743هـ/1343م)، وأبو عبد الله المقري (ت 759هـ/1356م)، وأيضا أبو عبد الله محمد ابن مرزوق (ت 781هـ/1379م)، وقاسم بن سعيد بن محمد بن محمد العقباني ت 854هـ/1450م، وإبراهيم بن فائد الزواوي القسنطيني (ت 857هـ/1453م) الذي برع في علم الفقه تدريسا وتأليفا، ومحمد بن أحمد بن قاسم بن سعيد العقباني(ت 871هـ/1466م)، وعبد الرحمان الثعالبي، وأحمد بن يونس بن سعيد بن عيسى القسنطيني (ت 878هـ/1473م) الذي كان علامة في كثير من فنون العلم ومنها الفقه وأيضا يحي بن أحمد بن عبد السلام بن رحمون شرف الدين أبو زكريا المعروف بالعلمي (ت 888هـ/1483م)[38] .

ومن المصنفين الحجازيين في علم الفقه نذكر عبد السلام بن عبد السلام ابن روزبة العز أبو محمد الكازروني المدني (ت 779هـ/1377م)، ومحمد بن عبد الله بن ظهيرة (ت 816هـ/1413م) الذي عرف بتفقه بالمذهب الشافعي، وإبراهيم بن علي بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن فرحون المعروف ببرهان الدين (ت 799هـ/1397م)، وكذلك محمد الرضي أبو حامد الحسني الفاسي المكي المالكي(ت 824هـ/1421م)[39].

علم الأصول: أثر العديد من علماء المغرب الأوسط في هذا الجانب المهم أمثال عبد الوهاب بن يوسف بن عبد القادر البجائي (ت بعد 680هـ/1281م)، ومحمد بن أبي بكر المقري الجد (ت 759هـ/1358م) وابن مرزوق (ت 781هـ/1379م)، ومحمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن زاغو التلمساني (ت 849هـ/1445م)، وإبراهيم بن فائد الزواوي القسنطيني (ت 857هـ/1397م) ، الذي برع في جميع العلوم خاصة علم الأصول، أما المصنفين الحجازيين في هذا العلم نذكر إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون المعروف ببرهان الدين (ت 799هـ/1397م)[40] .

علم الكلام: من أبرز الذين اهتموا في هذا العلم تدريسا وتأليفا، عبد الرحمن الثعالبي (ت 875هـ/1470م)، ومن مصنفاته **العلوم الفاخرة في النظر في الأمور الآخرة**، وكتب حاشية على شرح عقيدة السنوسي الصغرى سماها **الفرائد السنية والفوائد السرية على شرح العقيد**

السنوسية، إلى جانب كتاب شرح فيه المصطلحات الكلامية سماه **التعريفات** وكتاب **حقائق التوحيد**[41] .

2.4 اللغة العربية وآدابها:

النحو: برز في هذا المجال علماء سطع نجمهم في الحجاز نذكر منهم محمد بن أبي بكر المقري (ت 759هـ/1358م)، وقاسم بن سعيد بن محمد العقباني (ت 854هـ/1450م)، كما ساهم في هذا العلم العالم الكبير عبد الرحمن الثعالبي بمصنفين قيمين هما: **تحفة الاخوان في اعراب آي القرآن** و كتاب **الابريز في تفسير واعراب بعض آي الكتاب العزيز**[42] .

علم البيان: اهتم بعض علماء المغرب الأوسط بالدراسات اللغوية والآداب، حيث اهتموا بالبلاغة لارتباطها الوثيق بعلوم القرآن والحديث، ومن هؤلاء نذكر: عبد الواحد بن أبي حجلة التلمساني (ت 776هـ/1374)م، وابن مرزوق، ومحمد بن أحمد بن عبد الرحمان بن زاغو[43] .

الشعر: ازدهر الشعر بالحجاز والمغرب الأوسط خلال الفترة المدروسة ازدهارا كبيرا كغيره من العلوم الأخرى بسبب نشاط الحركة الفكرية والأدبية ومن بين الشعراء نذكر: محمد بن عمر بن علي الجزائري (ت بعد 716هـ/1360م) ، والشاعر الكبير محمد بن عمر بن علي بن إبراهيم المليكشي (ت 740هـ/1339م)، وعبد الله بن عمر بن موسى البسكري ، وعبد الواحد بن أبي حجلة التلمساني (ت 776هـ/1374م)[44] .

3.4 العلوم العقلية

لم تلق العلوم العقلية اهتمام كبير من طرف العلماء المغاربة وعلماء الحجاز وذلك لعدة أسباب نذكر منها: اهتمام علماء الحجاز والمجاورين به بالعلوم الشرعية دون غيرها، وعدم استقرار العلماء المعروفين في العلوم العقلية خاصة الطب بالحرمين الشريفين بسبب احتياج سلاطينهم لهم وعدم استغنائهم عنهم، ونفور الكثير منهم من هذه العلوم خاصة علم النجوم حيث يعتبرونه مضبعة للوقت وضربا من الشعوذة، بالإضافة إلى امتناع الآباء من تعلم أبنائهم لتلك العلوم كمنع أحدهم

من تعلم ابنه في الابتداء من الاشتغال في العقليات ثم أذن له[45]، وبالرغم من ذلك ذكرت بعض الأسماء في مختلف العلوم نذكر منها:

علم الفلك والتنجيم: ما تم ذكره في هذا العلم من علماء المغرب الأوسط هو عالم واحد فقط وهو ابن مرزوق الخطيب (ت 781هـ/1379م) حيث ساهم بتأليف كتاب في التنجيم[46]

علم المنطق: ممن صنف في هذا الجانب محمد بن محمد المقري (ت 759هـ/1358م) حيث ساهم بشرح كتاب جمل الخونجي ، وكذلك أحمد ابن يحي ابن أبي بكر ابن أبي حجلة (ت 776هـ/1374م) الذي صنف كتاب سماه كتاب النطق المفهوم من ضمت أهل العلوم، وأيضا شرح الجمل للخونجي لقاسم بن سعيد بن محمد العقباني (ت 854هـ/1450م)[47] .

علم الطب: برز في هذا العلم أحمد بن يحي بن أبي بكر بن أبي حجلة (ت 776هـ/1374م) حيث صنف كتابا سماه **الطب المسلمون في دفع الطاعون** وله أيضا **أطيب الطيب**، كما صنف أيضا ابن مرزوق (ت 781هـ/1379م) كتاب سماه **الانتباه في معالجة الباه**[48]

الخاتمة :

ـ أن الرحلات العلمية بين المغرب الأوسط والحجاز كانت من أهم الروافد العلمية التي ساعدت في التواصل العلمي بين البلدين.

ـ تعتبر الحجاز أولى الحواضر التي استقطبت أهل المغرب الأوسط وشكلت فيما بينها علاقات علمية وفكرية لمدة قرون متواصلة.

ـ النشاط العلمي لهاته الرحلات كان له ثمار على الواقع العلمي للبلدين وفي نمو حركة التبادل العلمي خاصة العلاقات العلمية.

ـ إن نمو وازدهار الصلات العلمية إنما هو ثمرة من ثمار التزام المسلمين عامة بتوجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية التي جاءت الكثير من نصوصها حاثة على العلم، كما رسخت القدوة الحسنة

التي كان عليها السلف الصالح من علماء المسلمين في تأكيد اهتمام طلبة وعلماء المغرب الأوسط والحجاز بالجوانب العلمية، وأصبحت محبة العلم والحرص على مدارسته ونشره جزءا من كيانهم.

المصادر والمراجع:

1ـ ابن خلدون، المقدمة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للنشر، بيروت، ، 1421هـ/2001م

2ـ أبو الفضل عياض اليحصبي، الالماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السمع، دار التراث الإسلامي، ط 1، القاهرة، 1970

3ـ برهان الدين بن فرحون المالكي، كشف النقاب الحاجب من مصطلح ابن الحاجب، تح حمزة أبو فارس وعبد السلام الشريف، دار الغرب الإسلامي، ط 1، بيروت، 1990

4ـ التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة ، منشورات الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1989

5ـ جلال الدين السيوطي، طبقات الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983م

6ـ الجرجاني، كتاب التعريفات، تح عبد المنعم الحنفي، دار الرشاد، القاهرة، (د ت)

7ـ رحلة ابن جبير، دار صادر، بيروت،(د ت)

8ـ السخاوي، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة اللطيفة، تقديم طه حسين، مطبعة دار النشر الثقافة، القاهرة، 1989، ج3

9ـ السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل، بيروت، د ت، ج9

10ـ عمر بن فهد الهاشمي المكي، معجم الشيوخ، تح محمد الزاهي، المطابع الأهلية، الرياض، ، 1982

11ـ عمر بن فهد الهاشمي المكي ، معجم الشيوخ ، تح محمد الزاهي، المطابع الأهلية، الرياض، 1982

12ـ محمد بن إسماعيل الأمير الحسني الصنعاني، توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأفكار، تح محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، (د ت)، ج2

13ـ المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968، ج5

14ـ ابن مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تح محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908

15ـ ابن مرزوق، المناقب المرزوقية ، تح سلوى الزاهري، منشورات الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1، المملكة المغربية، 1429هـ/2008

16ـ الأزهري، تهذيب اللغة، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، الدار المصرية، القاهرة، ج 11، (د ت)

17ـ ابن منظور، لسان العرب: مادة رحل، دار المعارف، القاهرة، د ت، ج3.

18ـ الرازي، معجم مقاييس اللغة، تح عبد السلام هارون، مادة رحل، دار الفكر، سوريا، 1979

19ـ الفيومي، المصباح المنير، دار صادر، بيروت، ج1

20ـ الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تح مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، 2005، ط8

21ـ عمار هلال، العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية فيما بين القرنين التاسع والعشرين الميلاديين ، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، الجزائر، 2010

22ـ عبد الواحد ذنون طه، الرحلات المتبادلة بين الغرب الإسلامي والمشرق، دار المدار الإسلامي، ط1 ، بيروت، 2005

23ـ محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحضارة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، 1995

24ـ عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية للنشر، ط 2، بيروت، 1980

25ـ إبراهيم حركات، مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتى القرن 9هـ/15م، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 2000

26ـ أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2017

27ـ رزيوي زينب، العلوم والمعارف الثقافية بالمغرب الأوسط ما بين القرنين 7 و 9هـ/ 13ـ 15م، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2016

28ـ صافية كساس، الرحلات العلمية من وإلى المغرب العربي ودورها في تنشيط الحركة العلمية والتعليمية بالمغرب العربي، مجلة الممارسات اللغوية، العدد الثامن

29ـ فاطمة بلهواري، الرحلة العلمية لعلماء تلمسان إلى فاس في العصر الوسيط، مجلة الحوار المتوسطي، م 1، ع1، 2009

30ـ عامر مريقي وإبراهيم بحاز، دور علماء المغرب الأسلامي في بلاد الحجاز ق 6 ـ 9هـ/ 12ـ 15م، مجلة الاحياء، المجلد 21، العدد 28، جانفي 2021

31ـ أسماء بن عمارة، عاشوري قمعون، الرحلات الحجازية ألية للتواصل العلمي بين المغرب الأوسط ومصر خلال القرنين 7 ـ 9هـ/ 13ـ 15م، مجلة دراسات إنسانية واجتماعية، جامعة وهران 2، المجلد 10، ع3، 2021

الهوامش:

[1] ـ ابن منظور، لسان العرب: مادة رحل، دار المعارف، القاهرة، د ت، ج3، ص 1608 . الرازي، معجم مقاييس اللغة، تح عبد السلام هارون، مادة رحل، دار الفكر، سوريا، 1979، ص 497

[2] ـ الفيومي، المصباح المنير، دار صادر، بيروت، ج1، ص 276

[3] ـ الفيروزآبادي، القاموس المحيط، تح مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، 2005، ط8، ص 1005

[4] ـ ابن خلدون، المقدمة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للنشر، بيروت، ، 1421هـ/2001م ، ص 744 ـ 745

[5] ـ صافية كساس، الرحلات العلمية من وإلى المغرب العربي ودورها في تنشيط الحركة العلمية والتعليمية بالمغرب العربي، مجلة الممارسات اللغوية، العدد الثامن، ص 180

[6] ـ المرجع نفسه، ص 180

[7] ـ عبد الواحد ذنون طه، الرحلات المتبادلة بين الغرب الإسلامي والمشرق، دار المدار الإسلامي، ط1 ، بيروت، 2005، ص 73ـ 74

[8] ـ المرجع نفسه، ص 74

[9] ـ رحلة ابن جبير، دار صادر، بيروت،(د ت)، ص 258

[10] ـ فاطمة بلهواري، الرحلة العلمية لعلماء تلمسان إلى فاس في العصر الوسيط، مجلة الحوار المتوسطي، م 1، ع1، 2009، ص 59ـ 60

[11] ـ عامر مريقي وإبراهيم بحاز، دور علماء المغرب الأسلامي في بلاد الحجاز ق 6 ـ 9هـ/ 12ـ 15م، مجلة الاحياء، المجلد 21، العدد 28، جانفي 2021، ص 924

[12] ـ الأزهري، تهذيب اللغة، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، الدار المصرية، القاهرة، ج 11، (د ت)، ص 148ـ 149

[13] ـ محمد بن إسماعيل الأمير الحسني الصنعاني، توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأفكار، تح محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، (د ت)، ج2، ص 310ـ 311

[14] ـ محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحضارة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، 1995، ص 405

[15] ـ أسماء بن عمارة، عاشوري قمعون، الرحلات الحجازية ألية للتواصل العلمي بين المغرب الأوسط ومصر خلال القرنين 7 ـ 9هـ/ 13ـ 15م، مجلة دراسات إنسانية واجتماعية، جامعة وهران 2، المجلد 10، ع3، 2021، ص 460

[16] ـ السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل، بيروت، د ت، ج9، ص 172. عمر بن فهد الهاشمي المكي، معجم الشيوخ، تح محمد الزاهي، المطابع الأهلية، الرياض، ، 1982 ، ص 61

[17] ـ السخاوي، المصدر السابق، ج 11، ص 31ـ 32

[18] ـ جلال الدين السيوطي، طبقات الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983م، ص 552ـ 553

[19] ـ برهان الدين بن فرحون المالكي، كشف النقاب الحاجب من مصطلح ابن الحاجب، تح حمزة أبو فارس وعبد السلام الشريف، دار الغرب الإسلامي، ط 1، بيروت، 1990، ص 35ـ 36

[20] ـ عمر بن فهد الهاشمي المكي ، معجم الشيوخ ، تح محمد الزاهي، المطابع الأهلية، الرياض، 1982، ص 102

[21] ـ السخاوي، المصدر السابق، ج12، ص 34. عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية للنشر، ط 2، بيروت، 1980، ص 35

[22] ـ أبو الفضل عياض اليحصبي، الالماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، دار التراث الإسلامي، ط 1، القاهرة، 1970، ص 68ـ 69

[23] ـ أسماء بن عمارة، عاشوري قمعون، المرجع السابق، ص 459ـ 460

[24] ـ التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة ، منشورات الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1989، ص 321. عمار هلال، العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية فيما بين القرنين التاسع والعشرين الميلاديين ، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، الجزائر، 2010، ص 175

[25] ـ المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968، ج5، ص 244. عادل نويهض، المرجع السابق، ص 12

[26] ـ عمار هلال، المرجع السابق، ص 181

[27] ـ السخاوي، الضوء اللامع، ج 4، ص 302

[28] ـ السخاوي، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة اللطيفة، تقديم طه حسين، مطبعة دار النشر الثقافة، القاهرة، 1989، ج3، ص 11ـ 13

[29] ـ السخاوي، التحفة اللطيفة، ج3، ص 32

[30] ـ السخاوي، الضوء اللامع، ج4، ص 270

[31] ـ ابن خلدون، المقدمة، ص 549

[32] ـ السخاوي، الضوء اللامع، ج4، ص 152. رزيوي زينب، العلوم والمعارف الثقافية بالمغرب الأوسط ما بين القرنين 7 و 9 هـ/ 13ـ 15م، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط ،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2016، ص 187. عادل نويهض، المرجع السابق، ص 90

[33] عادل نويهض، المرجع السابق، ص 83

[34] ـ ابن مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تح محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908 ، ص 66

[35] ـ ابن مرزوق، المناقب المرزوقية ، تح سلوى الزاهري، منشورات الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1، المملكة المغربية، 1429هـ/ 2008 ، ص 83ـ 86

[36] ـ السخاوي، الضوء اللامع، ج3 ،ص 206. عادل نويهض معجم أعلام الجزائر، ص 83. 84

[37] ـ السخاوي، الضوء اللامع، ج9، ص282

[38] ـ ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، ص 88. عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص 337

[39] ـ السخاوي، التحفة اللطيفة، ج3، ص 13. التنبكتي، نيل الابتهاج، ص 33

[40] ـ إبراهيم حركات، مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتى القرن 9هـ/15م، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 2000، ص345

[41] ـ الجرجاني، كتاب التعريفات، تح عبد المنعم الحنفي، دار الرشاد، القاهرة، د ت، ص 212. عبد العزيز بنعبد الله، معلمة الفقه المالكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ص 133

[42] ـ رزيوي زينت، العلوم والمعارف الثقافية بالمغرب الأوسط، ص 246. عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص 90. 91

[43] ـ أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2017، ص 247

[44] ـ ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، ص 88، عادل نويهض، المرجع السابق، ص 43

[45] ـ عامر مريقي، المرجع السابق، ص 928. 929

[46] ـ محمد بوشقيف، المرجع السابق، ص273

[47] ـ السخاوي، الضوء اللامع، ج6، ص 181

[48] ـ عادل نويهض، المرجع السابق، ص 365، رزيوي زينب، المرجع السابق، ص 331